

تفسير ابن كثير

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا^ق
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) : قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد

الله بن قسيط ، عن أبي الحسن سالم البراد - مولى تميم الداري - قال : لما نزلت : (

والشعراء يتبعهم الغاؤون) ، جاء حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن

مالك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يبكون فقالوا : قد علم الله حين أنزل

هذه الآية أنا شعراء . فتلا النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إلا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات) قال : " أنتم " ، (وذكروا الله كثيرا) قال : " أنتم " ، (وانتصروا من بعد

ما ظلموا) قال : " أنتم " . رواه ابن أبي حاتم . وابن جرير ، من رواية ابن إسحاق . وقد روى

ابن أبي حاتم أيضا ، عن أبي سعيد الأشج ، عن أبي أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن

يزيد بن عبد الله ، عن أبي الحسن مولى بني نوفل ؛ أن حسان بن ثابت ، وعبد الله بن

رواحة أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين نزلت : (والشعراء يتبعهم الغاؤون)

بيكيان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرؤها عليهما : (والشعراء يتبعهم
الغاوون) حتى بلغ : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، قال : " أنتم " . وقال أيضا :
حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال :
لما نزلت : (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى قوله : (يقولون ما لا يفعلون) قال عبد الله
بن رواحة : يا رسول الله ، قد علم الله أني منهم . فأنزل الله : (إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) إلى قوله : (ينقلبون) . وهكذا قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة
، وزيد بن أسلم ، وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه
السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية [في] شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ،
ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه
شعراء الأنصار وغيرهم ، حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام
وأهله ، ثم تاب وأتاب ، ورجع وأقلع ، وعمل صالحا ، وذكر الله كثيرا في مقابلة ما تقدم
من الكلام السيئ ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما
كذب بدمه ، كما قال عبد الله بن الزبيري حين أسلم : يا رسول الملوك ، إن لساني

راتق ما فتقت إذ أنا بورإذ أجاري الشيطان في سنن الغي ي ومن مال ميله مشوروكذلك

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي - صلى الله

عليه وسلم - وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجوا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان يمدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

بعدهما كان يهجوهم ، ويتولاه بعدهما كان قد عاداه . وهكذا روى مسلم في صحيحه ، عن

ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطينهن

قال : " نعم " . قال : معاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : " نعم " . قال : وتؤمرني حتى

أقاتل الكفار ، كما كنت أقاتل المسلمين . قال : " نعم " . وذكر الثلاثة . ولهذا قال تعالى :

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) قيل : معناه : ذكروا الله كثيراً

في كلامهم . وقيل : في شعرهم ، وكلاهما صحيح مكفر لما سبق . وقوله : (وانتصروا من

بعد ما ظلموا) قال ابن عباس : يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين . وكذا

قال مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد . وهذا كما ثبت في الصحيح : أن رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - قال لحسان : " اهجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك " . وقال الإمام

أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إن الله ، عز وجل ، قد أنزل في الشعر ما أنزل ، فقال : " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده ، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل " . وقوله : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ، كما قال تعالى : (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) [غافر : 52] وفي الصحيح : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة " . وقال قتادة بن دعامة في قوله : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) يعني : من الشعراء وغيرهم . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا إياس بن أبي تميمة ، قال : حضرت الحسن ومر عليه بجزاة نصراني ، فقال الحسن : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) . وقال عبد الله بن رباح ، عن صفوان بن محرز : أنه كان إذا قرأ هذه الآية - بكى حتى أقول : قد اندق قضيب زوره - (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) . وقال ابن وهب : أخبرني ابن سريج الإسكندراني ، عن بعض المشيخة : أنهم كانوا بأرض الروم ، فبينما هم ليلة على نار يشتون عليها - أو : يصطلون - إذا بركاب قد أقبلوا ، فقاموا

إليهم ، فإذا فضالة بن عبيد فيهم ، فأنزلوه فجلس معهم - قال : وصاحب لنا قائم يصلي -
قال حتى مر بهذه الآية : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد :
هؤلاء الذين يخربون البيت . وقيل : المراد بهم أهل مكة . وقيل : الذين ظلموا من
المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم ، كما قال ابن أبي حاتم : ذكر
عن زكريا بن يحيى الواسطي : حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي ، حدثنا محمد
بن عبد الرحمن بن المجير حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها
، قالت : كتب أبي وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أبو بكر
بن أبي قحافة ، عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، وينتهي الفاجر ، ويصدق
الكاذب : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذاك ظني به ، ورجائي فيه
، وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) . آخر
تفسير سورة " الشعراء " والحمد لله رب العالمين .